لقاءات رمضان ١٤٣٤هـ

اللقاء الرابع والعشرون: تفسير الآيات ٣٠-٣٦ من سورة فصلت

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمده سبحانه وتعالى وهو أهل للثناء والحمد، ونستغفره وهو أهلٌ للتقوى وأهلٌ للمغفرة، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، نعوذ بالله أن نقترف على أنفسنا ما يحرمنا جوده وعطاؤه، نعوذ بالله أن نخطئ ونرتكب ما حرمه علينا وهو الحليم الرحيم!

يُنبّه عباده ويأمرهم بالاستقامة على دينه، فإذا زاغوا أو نسوا أو ضلّوا عن الطريق، أحسن إليهم بأن يحرمهم شيئًا من عطاياه؛ ليتذكّروا نعمته فلا يعاملونها بالبطر، ولا يظنّون أنها تحت تصرّفهم متى شاؤوا فعلوا، متى شاؤوا أطاعوا، متى شاؤوا أحسنوا، إنما هو الممتنّ صاحب الفضل أولاً بأن حبّب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وهو صاحب المنّ لما يسّر لنا سُبُل الطاعات، وهو صاحب المنّ لما علّمنا عن نفسه خاصة علّمنا عن القرآن، وهو صاحب المنّ لما يسّر سُبُل التعليم، وهو صاحب المنّ لما تفضّل علينا بأبواب الطاعات كلها، فله الحمد وله الشكر، خيره إلينا نازل، وشرّنا إليه صاعد !

كم عاملنا بستره ورحمته وحلمه، وأدّبنا ألطف ما يكون من التأديب، فلك الحمد على العطاء والمنة، ولك الحمد على التربية والرحمة، على كل حالنا نحمدك، فلا يأتي من ربّ عظيم رحيم إلا الرحمة .

وقد قيل لأعرابي: إنك ستموت، فقال: وإلى أين أذهب؟ قالوا له: إلى الله، قال: وهل رأيت منه إلا خيرًا، فبِمَ تخوفوني؟!

ونحن لم نرَ منه إلا خيرًا، نشهد بذلك، ونستعيذ مرات ومرات من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا.

وإذا سمعنا في القرآن وصف هؤلاء المستقيمين على دين الله كما في آيات سورة فُصّلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت:٣٠] سنعرف ما معنى هذه الحال التي يجب على العبد أن يكون عليها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الملائكة أولياء أهل الإيمان فمتى يقولون لهم: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ﴾ ؟

متى يقولون لهم ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ؟

متى يبشرونهم أن في الجنة ﴿مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ ؟

هذا ما نريد أن نعرفه من هذه الآيات ونعرف سلوك هذا الذي استقام.

وتأتي الآيات فتُخبر فيها عن أحسن الناس قولاً، الذي دعا وعمل صالحًا وقال: إنني من المسلمين، فنسأل الله عزّ وجلّ أن نكون نحن من أهل هذه الآيات، ممن قال (ربي الله واستقام)، وممن (دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين)، وممن (إذا نزغه الشيطان نزغ استعاذ بالله الذي وصفه أنه سميع عليم).

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ **[فصلت: ٣٠-٣٦]**.

نقرأ ما يتيسّر لنا من معاني هذه الآيات العظيمة ونحن راجون من الله أن يكون هذا العلم في قلوبنا وليس في أسماعنا فقط، إنما تكون أسماعنا وسيلة للدخول إلى قلوبنا.

يقول الشيخ رحمه الله:

– **يخبر تعالى عن أوليائه.**

وما أعظم هذه الكلمة أن تكون وليًّا من أولياء الله، أولياء الله الذين يحبّهم الله، أولياء الله قوم قَبِلهم الله، أولياء الله قوم رفعهم الله عنده، ما صفة أوليائه؟

– **وفي ضمن ذلك تنشيطهم والحثّ على الاقتداء بهم.**

يعني يخبر الله عزّ وجلّ عن أوليائه من أجل أن ينشّطهم على البقاء على حالهم، وينشّط غيرهم للاقتداء بهم.

من هم هؤلاء الأولياء؟

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾

ما حالهم؟

– **اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله، واستسلموا لأمره.**

إذن نحن هنا مع اسم عظيم من أسمائه: (الرب) الذي أوجد وأعدّ وأمدّ، والذي لا زال يربّي عباده، يربيهم بأنواع النعم التي تنزل على أبدانهم وعلى قلوبهم، فأوّل الأمر هؤلاء لهم وصف غاية في الأهمية، أنهم يقولون: ربّنا الله، فمعنى ذلك أنّ آثار التوحيد ظاهرة عليهم، ينظرون إلى كل شيء بعين من يعرف ربه، فإنّ مَن قال ربي الله لابدّ إن كان صادقًا أن يرضى بالله ربًّا، يرضى به مدّبرًا مُنْعمًا معطيًا مانعًا، يقلّبه في أحوال الحياة، الرضى علامة الاستسلام للربوبية.

فها نحن نقول في أذكارنا: رضيت بالله ربًّا؛ أي رضيت به مربّيًا، يعطي ويمنع، يؤدب ويربي، يرفع ويخفض، بيده ملكوت كل شيء يدبّره على خير حال، وهو أحسن الحاكمين وخير المعطين، فعلى العباد الصادقين الرضى به.

فإذا رضوا بربوبيته، أي اعترفوا بقلوبهم ونطقوا بألسنتهم وقع الرضى، (ربنا الله) الذي له كمال الصفات، فإذا ربّاني، أعطاني أو منعني، رفعني أو خفضني، وهبني أو حرمني، هذا عند الخلق، لكن في قلبي أنا تام الرضى. عند الخلق هذا خفض أو رفع، عند الخلق اسمه عطاء أو اسمه حرمان، لكن عند من رضي بالله كله يشرح الصدر، كله يجعل العبد في حال من الرضى، لأن مقصود هذا العبد ما وراء هذه الدنيا.

ربنا الله، نعترف بذلك وننطق ونرضى ونستسلم لأمره، نستسلم، فمن استسلم، قام في كل حال بالوظيفة الواجبة عليه، فإذا نزل البلاء فتش في نفسه عن ذنبه فتاب واستغفر وصبر واحتسب، وإذا جاء العطاء نسب النعمة لله وشكر وأثنى على الله في كل مجلس ومحفل.

لا تراه إذا أعطي يشكر أحدًا غير الله، ولا تراه إذا مُنع ينسب المنع لغير الله، بل عينه عين الرضى عن الله، إذا أُعطي نسب وشكر، وإذا مُنع فتَّش وحرَّر حاله وصبر، وفي ذلك كله ينتظر رضى الله.

إنّ العبد الذي يقول ربنا الله يعلم أن الله يقلبه في الأحوال وينظر إليه، (هل أنت عن الله راض؟) أعطاك أو منعك، رفعك أو خفضك، إن الخلق إنما هم أسباب يسخّرهم الله أو يسلّطهم الله، فمن أراد لنفسه الفلاح والصلاح، فمن الأرض للسماء، ليس لقلبك قبلة إلا الله، هو صمدك وركنك الشديد، وهو العليم الخبير.

فكن في الأرض واحدًا لواحد في السماء

ودع عنك أهل الأرض إنّما هم بلايا في الطريق

إن أردت فاجعلهم ممهدين لك الطريق إلى الله، فالذي يقول (ربنا الله) عبد صدق في توحيده وما أصعب هذا الاختبار وما أعظمه وما أقلّ المتنبهين له! فإن الناس ما أن يُحرموا إلا يلتفتوا للأسباب، وما أن يعطوا إلا يزيد تعلقهم بالأسباب، وهذا كله زيادة بلاء على العبد أن ينقطع بالأسباب عن ربّ الأسباب.

إنّ الأسباب من خلق الله أمرنا أن نتعامل معها كما يرضى هو سبحانه وتعالى، فلا تعامل الأسباب بغير ما أمرك به ربّ الأسباب.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٤ – ٨٥] أتبع على ما أمره الله، من أعطاه الأسباب؟ الله، من أمره أن يأخذ بالأسباب؟ الله، كيف يأخذ بالأسباب؟ كما أمره الله، لا تجعل الأسباب حاجزًا لك عن ربها.

على كل حال موضوع الرضى عن الله من أعظم المواضيع خطورة وصعوبة، وهو ما يضيّق أنفاسنا لما نسمع السفهاء يتكلمون عن أفعال ربنا! وهو الذي يضيّق علينا الحياة لما نرى من اتخذوا دينه لهوا ولعبوا يتكلمون عن الله العظيم ونرى آثار ستره وحلمه عليهم وعلينا ! فاللهمّ لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

إن وسائل الإعلام ضجت اليوم كما ضجت بالأمس بالتعدي على الله الملك العظيم الرب الكريم، ضجت بتعظيم غير الله، فما لنا إلا الشكوى إلى الله، ونستعيذ بالله من أن ينزل علينا سخطه أو يقع علينا ما يستحقّه هؤلاء، لكننا نتوسّل إلى الله أن يعاملنا بفضله.

إذن هذا أول وصف لأوليائه: **يقولون ربنا الله**

ثم استقاموا

فإن الذي يقول (ربي هو الله) يطلب رضاه، يقطع أنفاسه سعيًا وراء رضاه، إليه يسعى ويحفد، فمن صدق في أن يقول: ربي الله، أورثه ذلك استقامة على دين الله.

- **ثم استقاموا على الصراط المستقيم علمًا وعملاً.**

معنى ذلك أن الذي يقول رب الله يحبب إلى فؤاده العلم، يحب أن يتنوّر في كل شيء، يحب أن يجيب سؤالك (هل هذا الذي أنا فيه يرضي الله؟ هل هذا الذي أعمله يرضي الله؟) فتراه يتعلم ويتعلم ولا يشبع من العلم، ويعمل بما تعلّم لأنه يخشى أن يتعلم علمًا لا يعمل به، يخشى من النفاق، فإنّ بين العلم والعمل فجوة إذا وجدت لا يسدّها إلا النفاق!

لكن هذا المستقيم يبذل جهده في العلم ثم يبذل جهده في العمل، فيعمل بما يستطيع من العلم، إن صدق في إرادة العمل، الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، فإننا مختلفون في قدراتنا وفي عطايا ربنا لنا، وكل واحد منا فتح له باب غير الآخر، فأنت تعلّم ما يرضي الله، تعلم عن الله وما يرضي الله واستقم على دين الله واجمع قلبك على إرادة رضاه، ويوفقك الله لما يريد من الأعمال الصالحة.

فالمقصود: أين هو قلبك؟

- هل هو مشتاق لقيام ليلة القدر؟ أم أنه كسلان يريد أن تنتهي الأيام وتنطوي؟!
- هل هو فرح بالفرصة؟ أم أنه غير معتن بها؟!

إن الذين استاموا على دين الله أهل فرح بمواسم الطاعة أهل بهجة بها، أهل بهجة بكل باب خير.

إن الذين استقاموا على دين الله ممن سلف، كانوا إذا طرق الطارق عليهم يطلبهم يرحبون به ويأنسون.

إنهم يعلمون أن هذا باب فتحه الله، فكم بين هؤلاء وهؤلاء وكم بين الدعوى والصدق.

فنرجو من الله وهو الذي يتفضّل على عباده بأن يدلّهم على الصراط المستقيم ويشرح صدورهم إليه، هو الذي يحبّب الإيمان ويزينه في قلوب الخلق، نسأله أن يحبب إلينا وإلى ذرارينا الإيمان ويزينه في قلوبنا .

- **فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.**

كيف تأتيهم البشرى؟

- **{ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ } الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار.**

إذن هذا اللقاء وهذا الكلام الذي ستقوله الملائكة مبشرة، هذا عند الموت، إن الملائكة تقول لروح المؤمن: (اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب، كنت تعمّرينه، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان).

فهذه من بشراهم، فيقولون: لا تخافوا ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ ﴾ لا تخافوا مما يستقبلكم من أمر، إنهم مقبلون على أمر عظيم، سواء كان هذا في الاحتضار، أو كما ورد في كلام ابن عباس أن الملائكة تتنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم، يوم أن تلتقي الأرواح بالأبدان، فيصبحون في مكان غير المكان، ويصبح بصرهم حديد، ويرون ما لم يكونوا يرونه من قبل! يرون الملائكة، ويرون الجن، ويرون أمرًا مهولاً عظيمًا، فذاك اليوم حقيق فيه الفزع! لكن ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ فتطمئنهم وتؤمّنهم في لحظة فزع عظيمة.

فقد ورد أنّ العبد المؤمن حين يبعثه الله من قبره يتلقّاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له: لا تخف ولا تحزن!

فالمعنى أنه يؤمَّن خوفه وتقرّ عينه، فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرّة عين لما هداه الله ولما كان يعمل في الدنيا.

فإذن المعنى أنّهم يُبشّرونهم عند موتهم وفي قبرهم وحين يُبعثون، ألا تخافوا ما يستقبل من أمركم ، ولا تحزنوا على ما مضى، فإنّ لحظة سكرة الموت لحظة قد يتخبّط فيها الشيطان الإنسان، نعوذ بالله أن يتخبّطنا الشيطان في حياتنا

ولا عند مماتنا، فربّما خوفه مما سيستقبل وربما حزّنه على ما يترك، وهذا ممكن أن يكون في وقت الموت وممكن أن يكون قبله، فكثير من الناس إذا ذكرت له الموت تحسّر على بنيه وعلى ما سيتركه وراءه، فقل له: لا تخف مما ستستقبل ولا تحزن على ما تترك، إن أحسنت في عبادة الله، فلا خوف عليك فيما تستقبله، ولا تحزن على ما تتركه فهو في حفظ الله ورعايته.

ألسنا نقرأ في سورة الكهف كيف حفظ الله أبناء الصالحين؟ فكن أنت على صلاح والذي خلقهم هو يربيهم ويتولاهم.

- **فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، {وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولاً.**

إذن معنى ذلك أنهم يُبشّرون بالجنة، وهذا من تمام رحمة الله بعباده، أن يُبشَّروا في موطن الخوف والفزع بِرَبٍّ راضٍ غير غضبان، تقول الملائكة : نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، كيف يكونون أولياؤنا في الحياة الدنيا؟

الملائكة الآن تقول للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءؤم في الحياة الدنيا، ما معنى ذلك؟ أي كنا قرناءكم في الحياة الدنيا نسددكم و نوفقكم ونحفظكم بأمر الله.

في الدنيا ماذا يفعلون؟ يقول الشيخ:

- **يحثونهم في الدنيا على الخير، ويزينونه لهم**
- **ويرهبونهم عن الشر، ويقبحونه في قلوبهم**
- **ويدعون الله لهم.**

سبحان الله! كما أنّ حملة العرش يستغفرون للذين آمنوا، إنّه لا يهلك على الله إلا هالك، لمة تلمّ قلبك من هذا الملك يعدك بالخير، يشير إليك إلى الخير ويحثك عليه ويزينه لك، ويرهبك من الشر ويقبحه في قلبك.

إن هؤلاء الملائكة كما يقول الشيخ:

- **ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصًا عند الموت وشدته، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها، وعلى الصراط**

فإذن هم في الدنيا قُرَناء يسدِّدون ويحفظون، وكذلك في القبر يؤنِّسون من الوَحْشة، وعند النفخ في الصور، وفي القيامة وأهوالها، وعلى الصراط.

- **وفي الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم!**
- **ويدخلون عليهم من كل باب {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} ويقولون لهم أيضا: {وَلَكُمْ فِيهَا} أي: في الجنة {مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُم} قد أعدّ وهيئ.**

أي أن هذه أقوال:

الأول: ألا تخافوا ولا تحزنوا

والثاني : وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون

الثالث: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا والآخرة

والرابع: ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم، قد أُعدّ وهيّء

والخامس، ولكم فيها ما تدعون.

- **{وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ} أي: تطلبون من كل ما تتعلق به إرادتكم وتطلبونه من أنواع اللذات والمشتهيات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.**

هذا كله نزلاً من غفور رحيم.

- **{ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ } أي: هذا الثواب الجزيل، والنعيم المقيم، نُزُلٌ وضيافة**

ضيافة عند رب العالمين، وعطاء وإنعام من غفور للذنوب، رحيم رؤوف، غفر وستر ورحم ولطف بعباده المؤمنين فأوصلهم إلى تلك الدار وهم سالمين.

- **{مِنْ غَفُورٍ} غفر لكم السيئات، { رَحِيمٌ } حيث وفقكم لفعل الحسنات، ثم قبلها منكم. فبمغفرته أزال عنكم المحذور، وبرحمته، أنالكم المطلوب.**

فنسأل الله أن يوفقنا فيما بقي من رمضان لأعمال صالحة ونتوسل إليه وليس لنا وسيلة إلا الفقر إليه أن يقبل منا أعمالنا ويغفر لنا ذنوبنا، يغفر لنا ما سلف وكان، ويرحم ضعفنا وفقرنا، إنه جواد كريم، رب رحيم، ما رأينا منه إلا كل خير، رأينا آثار ألطافه بنا، فالطف بنا وبالمسلمين يارب العالمين!

ثم انتقل السياق إلى قوله تعالى:

- **{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}**

هذا استفهام بمعنى النفي المتقرِّر أي: لا أحد أحسن قولا. أي: كلامًا وطريقة، وحالة { مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ}

ما هذه الحال؟ ما هي أحسن حال يرضاها الله؟ أحسن حال يرضاها الله هو حال من دعا إلى الله.

كيف يدعو إلى الله؟

- **بتعليم الجاهلين**

معناه يجب أن يكون هو متعلِّم.

- **ووعظ الغافلين والمعرضين**

إذن يعلّم جاهلا، يوعظ غافلاً أو معرضًا

- **ومجادلة المبطلين**

إذن هذه ثلاثة أمور، قد تُجمع لشخص وقد لا تُجمع وهي:

١. جاهل يعلمه
٢. غافل أو معرض يعظه
٣. مجادل بالباطل يجادله (مجادلة المجادل).

كل هؤلاء:

- **بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها**

هذه بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، كل هؤلاء هذا الذي نعلمهم إياه.

- **والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن**

إذن هناك ثلاثة أمور:

١. نأمرهم بعبادة الله، عبدوا الله.

٢. نحثهم ونرغبهم في ذلك، الحمد لله اجتمعوا عبدوا فعلوا

٣. نحسّن، نطلب منهم التحسين.

نفترض أنك تصلي في مكان، فانتهى الفرض، صلوا العشاء، فما أن انتهت صلاة العشاء إلا تكلم الناس، مع أن السنة في مثل هذا ألا يتكلم الإنسان إلا بعد انتهاء أذكار ما بعد الصلاة، هم أحسنوا بأنهم صلوا، أحسنوا بأنهم ذكروا، لكن كونهم تركوا أن يحبسوا كلامهم إلى بعد الذكر هذا يحتاج إلى تحسين.

فأنت قدّر الأمور بقدرها، أول الأمر نأمرهم بجميع العبادات، الأمر الثاني نحثهم عليها ونرغبهم فيها، الأمر الثالث نحسّنها، هذا في الأوامر.

أما في النواهي فيكون بالزجر عنها.

- **والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه**

نمنعهم ونقبّحه.

- **خصوصًا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه**

أصل دين الإسلام المقصود به التوحيد.

- **ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.**

إذن هذا في فروع الدين، وأهم شيء في أصوله ألا وهو الدعوة إلى التوحيد، فكم من غافل عن هذا الأمر العظيم، كم من غافل عن الدعوة إلى التوحيد ، اعتنى بأمور يمكن تعويضها إذا أحسن الإنسان في توحيده، فتأتي الغفلة عن أمر غاية في الأهمية ويترك لما هو أقل منه أهمية.

- **ومن الدعوة إلى الله، تحبيبه إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله.**

إذن من الدعوة إلى الله تحبيبه سبحانه وتعالى إلى عباده، تحبيب الله العظيم ربّ العرش الكريم، كامل الصفات، حبِّب الخلق في الله، كلِّمهم عن الله، أحسِن إلى نفسك بتحبيب الخلق في الله.

– بذكر تفاصيل نعمه

ما أعظم نعمه! اجتمع معهم وذكِّرهم بالتفاصيل من نعمائه، اذكر لهم سعة جوده، اذكر لهم كمال رحمته، اذكر لهم أوصاف كماله ونعوت جلاله، وهذا يستلزم من العبد أن يكون هو صادق في حب الله ، هو مجتهد في معرفة الله، هو متفكّر متدبّر في آلائه وجلاله، أكثر من التفكير في أسمائه وصفاته، أنت يا داعي إلى الله أكثر من التفكير في أسمائه وصفاته، قلّب أحوالك وأحوال من حولك، انظر إلى سِتْره، سَتر القبيح وأظهر الجميل، شرَّع لنا من الشرائع العظيمة التي بها ترتاح النفوس وتهدأ القلوب وتصل إلى مقصودها.

أنت أيها الداعي قلّب معرفتك لله، سيجري على لسانك هذه المعرفة أردت أو لم ترد!

ما أعظم هذا العبد الذي لسانه كثير الثناء على الله يُحبِّب عباد الله في الله! إنها وظيفة شريفة عظيمة في مكانها لمن أحسن الانتفاع من ذلك. ونقول والله هو الشهيد أنه لا ألذّ من الكلام عن الله، لكن أنت تميّز نفسك إن كنت صادقا أو كاذبًا، فمن صدق ، جرى على لسانه الخير، أجراه ربّ الأرباب على لسان أوليائه، نعمة عظيمة الدعوة إلى الله، منّة كريمة منه سبحانه.

– ومن الدعوة إلى الله، الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه

رغّب الناس في اقتباس العلم، حبّبهم لعلم الشرع، لا تهوّنه في نفوسهم وتُعظّم لهم علوم الدنيا! إنّ علوم الدنيا تابعة للعلم عن الله، تابعة لعلم الكتاب والسنة.

إذن إذا علّمت الناس وحببتهم في الله انتقل إلى أمر مهم، وهو الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسول الله، اعتني أن يكون الكتاب والسنة هما مصدرا العلم لك، وأنت دورك يا من تدعو إلى الله أن تجعل الناس يرغبون في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله. والمعنى: لا تضع بين الناس وبين القرآن حواجز، لا تضع بين الناس وبين سنة الرسول صلى الله عليه وسلم حواجز.

إنما سهل عليهم طريق الوصول إليه، فإنّ ما يميّز هذا الدِّين أنك تأخذه برفق وتكون ربانيًّا تعلِّم الناس صغار العلم قبل كباره، لكن من مصدره، مِن قال الله وقال رسوله صلى الله عليه وسلم .

إذن من الدعوة الترغيب في اقتباس العلم والهدى والحث على ذلك، تحبّبهم في العلم بكل طريق موصل إليه، فمن كان من أهل هذه الآية، تراه يحبّب وييسّر للناس طلب العلم، ويحثّ على ذلك، ومن نعم الله عزّ وجلّ على

الخلق أن جعل العلم وتعليمه نوعًا من أنواع الإنفاق، فإنّك إذا علّمت كأنك تنفق، وجعل من أنواع الإنفاق الإنفاق على العلم، فهذا كله من رحمة الله بنا، إن تعلّمت وعلّمت كنت منفقًا للعلم، وإن عسر عليك العلم -أن تتعلّم وتعلّم- وكنت صاحب مال، فكن ممن خدم الدين والدعوة إلى الله بمالك، فأنفق على طلبة العلم تعلمهم، أنفق على أماكن العلم، أوقف عليها أوقافًا ينتشر بها العلم، والله الغني وأنتم الفقراء، ولا يظن أحد أن الله بحاجة أحد، فهو تامّ الغنى، يعطي خلقه لكنه يختبرهم بالعطاء والمنع.

على كل حال هذا الباب العظيم -باب التعليم- من أعظم أبواب الدعوة إلى الله، بل هو الذي الباب الذي يولج منه إلى الدعوة إلى الله، يعني أنت لا تستطيع أن تدعو إلا إذا ولجت باب العلم، لكن نقول: تستطيع أن تدعو بأن تنفق على طلب العلم يتعلمون فيذهبون إلى ديارهم فيعلّمون، وهذا من نعم الله.

- **ومن ذلك**: -من الدعوة- **الحثّ على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين.**

إذن بدأنا أول الأمر الدعوة تكون بالدعوة إلى التوحيد، وإذا ولجت باب التوحيد ادخل في تفاصيله فحبب الله عزّ وجلّ إلى خلقه بأن تذكر تفاصيل نعمائه، تقدّم أكثر من ذلك فحبّب إليهم العلم ويسّره عليهم وأنشئ له دورًا وعلّم له معلّمين وأنفق عليهم، تقدّم أكثر اغرس فيهم الأخلاق وعلّمهم مكارمها وابذل جهدك أن يكون هذا كله خالصًا لله، بمعنى أن تعلمهم الأخلاق من أجل طاعة الله وليس من أجل المجتمع المدني، وإنما قربة إلى الله، وامرهم بصلة الأرحام وببرّ الوالدين، إذن الحمد لله الأمر في غاية الوضوح، تعلّم أصول الدين وفروعه، علّم التوحيد، علّم أسماء الله عزّ وجلّ وصفاته، علّمهم أصول الدين وفروعه ومكارم الأخلاق

- **ومن ذلك**: **الوعظ لعموم الناس، في أوقات المواسم، والعوارض، والمصائب، بما يناسب ذلك الحال.**

فإذا أتى رمضان كُن مِن أحسن الناس قولاً، فعظهم في هذا الشهر المبارك، تأتي العشر الأخيرة، فعظهم لينتبهوا لأوقاتهم وأعمالهم، يأتي الحج عظهم، تأتي الأشهر الحرم عظهم، أو تكون هناك عوارض، الناس تخطّفتهم آراء، ابتعدوا عن دين الله، أتاهم فكر أو طرأت عليهم مسائل، كل هذا ماذا نفعل به؟ كل هذا أنت لك فيه كلمة ووعظ إن كان الأمر واضحًا، أما إن كان فيه فتنة واختلاط فلا تتقدّم في الفتنة، بل اخمدوا ذكركم وأكثروا من ذكر ربكم.

إن الفتن إذا عرضت للخلق، على الخلق أن يكونوا أحلاس بيوتهم، أحلاس بيوتهم أي كالمتاع البالي.

أخمدوا من ذكر الفتن وأكثروا من ذكر ربكم، "عبادة في الهرج كهجرة إلي".

- **إلى غير ذلك مما لا تنحصر أفراده، مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشر.**

ثم قال تعالى: {وَعَمِلَ صَالِحًا} أي: مع دعوته الخلق إلى الله، بادر هو بنفسه، إلى امتثال أمر الله، بالعمل الصالح، الذي يُرْضِي ربه.

فهذا عبد جمع بين الدعوة إلى الله وبين العمل، هو يعمل ، يسارع لامتثال أمر الله .

- **{وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} أي: المنقادين لأمره، السالكين في طريقه، وهذه المرتبة، تمامها للصديقين، الذين عملوا على تكميل أنفسهم وتكميل غيرهم**

إذن إذا تم للإنسان هذه المرتبة فهو من الصديقين، ما حاله؟ كمل نفسه بالعمل الصالح وكمّل غيره

- **وحصلت لهم الوراثة التامة من الرسل،** -ومن هنا نرى الضد:- **كما أنّ مِن أشر الناس، قولاً، من كان من دعاة الضالين السالكين لسبله.**

من أشر الناس قولاً عكس من أحسن الناس قولاً (من دعا للضلال وسلك هو سبيله).

- **وبين هاتين المرتبتين المتباينتين، اللتين ارتفعت إحداهما إلى أعلى عليين، ونزلت الأخرى، إلى أسفل سافلين، مراتب لا يعلمها إلا الله**

فإذن الكمال للصديقين، وتام النقص لهؤلاء الأشرار الذين تولوا كبر الدعوة إلى الشر

- **وكلها معمورة بالخلق {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}**

يعني في كل مرتبة هناك خلق، في كل مرتبة تجمع بين الخيرية إذا كانت مرتبة الخيرية تجمع بين الدعوة والعمل، أو مرتبة الشر فتجمع بين الشر في النفس والدعوة إليه، فهي معمورة بالخلق.

- **يقول تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ} أي: لا يستوي فعل الحسنات والطاعات** -بشرط- **لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه**

في نفس الإنسان يفعل المعصية أو الطاعة لا يستويان هذان الأمران أبدا،

- **ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم**

وفي غيرك أيضًا لا يستوي أن تحسن أو أن تسيء، لا تستوي الكلمة الطيبة والكلمة السيئة.

- **لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ }**

إذن الإحسان لا في ذاته ولا في وصفه ولا في جزائه يستوي مع الإساءة.

- **ثم أمَر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك**

الآن ليس فقط أن تبتدئ الإحسان لقوم لم يقابلوك بإساءة، الآن مَن يسيء إليك.

- **فقال: { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم**

يحصل بينهم ما يحصل من عوارض الدنيا وتدخّل الشيطان، فأنت ادفع بالتي هي أحسن

- **إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصلْهُ، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك، فَطيِّبْ له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة.**
- **{ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } أي: كأنه قريب شفيق.**

فهذا يكون بأمر الله بعد أن يختبر الله صدقك وصبرك، ومثل هذا لا يكون فجأة، إنما يكون مع الأيام، فإن الإنسان يختبر إن كان صادقًا في صبره على أمر الله.

- **{ وَمَا يُلَقَّاهَا } أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة { إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا } نفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟".**

1. **فإذا صبّر الإنسان نفسه**
2. **وامتثل أمر ربه**

٣. وعرف جزيل الثواب

٤. وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله لا يفيده شيئًا، ولا يزيد العداوة إلا شدة

٥. وأن إحسانه إليه ليس بواضع قدره، بل من تواضع للّه رفعه

هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذًا مستحليًا له.

أول عمل يصبرها، ثانيا يمتثل أمر ربه، ثالثا يرغب نفسه بمعرفة بجزيل الثواب، الرابع يرى أثر العداوة لو استمرت ما الفائدة في الدنيا؟ الأمر الخامس أن يعلم أن إحسانه إليه ليس بواضع قدره أهم شيء قدرك عند الله، إذا اجتمعت لك هذه الخمسة وعلمت أن من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذًا مستحليًا له. يعني تنظر وتقول سأخفض لك الجناح وأنتظر أن يرفعني الله .

{ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق.

إذن معنى ذلك أن مكارم الأخلاق تتحصّل مع قوة التوحيد والإيمان، فليس هناك مكارم أخلاق بلا إيمان، فإن كان الإنسان مؤمنا كان الإيمان دافعا لها لطلب المنزلة عند الله، ومن طلب المنزلة عند الله رفعه الله، وإنما نفوسنا هي التي تضعنا وتجعلنا نخلد إلى الأرض، فنعوذ بالله من الخلود إلى الأرض، ونعوذ بالله من نزغات الشيطان، ولذلك أتت الآية بعدها، ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ .

والمعنى أن عندك نوعين من المشاكل في الحياة، نوعين من الأعداء:

١. إنسي يقابلكم بالإساءة

٢. وجني وهو الذي ينزغ في قلبك نزغًا .

فأما الإنسي فادفع بالتي هي أحسن، وأما الجني فاستغذ بالله احتمي، اعبد الله بالاستعاذة، والاستعاذة عبادة عظيمة قد غُفل عنها ، فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

نحمد الله على ما يسّر، ونسأله سبحانه وتعالى أن يحفظ علينا نعمه، وأن يجعل أسباب التواصل هذه مباركة تنفعنا. اللهم آمين.